

مشارف المنطق

تأليف :

د. سري نسيبه

نشر حديثا للدكتور عادل فاخوري كتاب اسمه "منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث" (دار الطليعة - بيروت - ١٩٨٠) ، وقد يكون هذا الكتاب من أفضل ما كتب عن المنطق العربي في هذا القرن . والجميل في هذا الكتاب أنه يجمع ما بين ما كتب في العصر الاسلامي عن المنطق وما تم تطويره في العصر الحديث فهو بذلك يتعامل مع المنطق من وجهة نظر المنطق المعاصر ، كما ويتعامل من جهة أخرى مع المنطق المعاصر آخذا بعين الاعتبار الخلفية التاريخية للمنطق في البلدان العربية .

الا ان هذا الكتاب ، وكغيره مما كتب في اللغة العربية ، لا يأخذ بعين الاعتبار وللأسف الشديد الحاجة الماسة لكتاب أو لمجموعة كتب في المنطق يمكن استعمالها لتدريس هذا العلم أو هذه الاداة العلمية في الجامعات أو المعاهد أو المدارس الثانوية ، وبالأخص لطلبة هذا العصر وفي ظل الاجواء الفكرية السائدة في الشرق الاوسط .

فتنقصه الامثلة والتمارين ولا يتدرج في الموضوعات حسب خطة منهجية متسلسلة في التعقيد هدفها ايصال المعلومات للطلبة ومناقشتها معهم . كما ولا يأخذ بعين الاعتبار أيضا ما درج القارئ المطلع على فهمه حين استعماله أو استماعه لكلمة "المنطق" في لغتنا الحديثة أو مرادفاتها ، وغيرها من الامور التي تستوحذ على اهتمام قارئنا العربي بما في ذلك اهتمامه بما يسمى بالمنهج المنطقي أو العقلانية أو الموضوعية أو المنهج العلمي . الخ ، بل على العكس من ذلك كله ، فان الكتاب يفترض معرفة مسبقة بالمنطق ويتوخى عرض مادة منطقية غزيرة وتسجيلها للاستعمال من قبل الملمين في هذا العلم ، وهو ينجح في هدفه هذا نجاحا مرموقا .

ونحن نجد كثيرا من كتب المنطق المكتوبة باللغة العربية ، وحتى المترجمة منها ، تفتقر الى هذه النواحي التعليمية والعملية ، ابتداء منها بالكتاب القيم للمنطقي البولندي لوكاشيفيتش ، والذي ترجمه وقدم له الاستاذ عبد الحميد صبره (نظرية القياس الارسطية من وجهة نظر المنطق الصوري الحديث ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦١) . فاننا نجد هذا الكتاب مفيدا للمؤء هل ابتداء بعلم المنطق ،

بل ونجد المقدمة التي وضعها الاستاذ صبره قيمة أيضا من حيث تعرضها خاصة الى اللبس الذي وقع عند المتقنين المصريين في الخمسينات بخصوص العلاقة بين الفلسفة الوضعية التي راجت في فيينا (وامتدت آثارها فيما بعد لبريطانيا عبر الفيلسوف آ.ج. آير وللوالات المتحدة عبر عدة فلاسفة منهم كارناب) والتي تحمس لها بعض الفلاسفة المصريين آنذاك ، وبين المنطق الصوري ، أى الرياضي ، كما نجد هذا اللبس مثلا عند الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه (المنطق الوضعي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥١ ، الطبعة الثانية . القاهرة أيضا ، ١٩٥٦) .

فان مقدمة عبد الحميد صبره مفيدة للذي يتابع تاريخ المنطق في العالم العربي المعاصر ، كما وأن كتاب لوكاشيفيتش نفسه مفيد أيضا للذي يتابع الفوارق المختلفة عند المناطق المعاصرين وخاصة تلك الفوارق الموجودة في مصطلحاتهم وفي الرموز التي يستعملونها .

الا أن هذا الكتاب ، مثله مثل الكتب الأخرى ، لا يفيد المبتدئ ، كما انه لا يستطيع المدرس استعماله بسهولة في مساق تمهيدى لعلم المنطق (كما وأنه لم يكتب أصلا لهذه الغاية) .

وهناك بالطبع كتب أخرى في المنطق ، منها ما هو مترجم ، ومنها ما وضع أصلا باللغة العربية ، فنذكر مثلا ترجمة بقلم الدكتور عبد الفتاح الديدي لكتاب أ.ج. بيسون و د. ج. أوكونر (مقدمة في المنطق الرمزي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١) . وأخرى للدكتور فؤاد زكريا لبول ميوي (المنطق وفلسفة العلوم ، جزئين ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٦١) وترجمة للدكتور زكي نجيب محمود للكاتب جون ديوي (المنطق ونظرية البحث . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠) . وقد يكون من أكثر ما ترجم فائدة وخاصة من الناحية التاريخية كتاب كتبه روبير بلانشي وترجمه الدكتور خليل أحمد خليل (المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل / ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٠) .

ثم اننا نجد أيضا أصولا في العربية ، ومنها نذكر كتاب علي سامي النشار (المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١) ، وكتاب عبد الرحمن بدوي (المنطق الصوري والرياضي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، طبعة رابعة ، ١٩٧٧) . وكتاب محمود قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث . الانجلو - مصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٣) . وكتاب

الاستاذين محمد علي أبو ريان وعلي عبد المعطي محمد (أسس المنطق الصوري ومشكلاته ، دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥) ، وغيرها .

ومن هذه الكتب ما يتعرض للمنهجية العلمية ، ومنها ما يتعرض لتاريخ المنطق الرمزي . الا أنها جميعها ، باعتقادي ، لا تفي بالغرض الذي وضحته ، وهو وضع كتاب يمكن استعماله في التدريس ، وهي لا تفي بالغرض جزئيا لافتقارها للتمارين والامثلة ، وجزئيا بسبب المادة المعروضة فيها ، وآخذ مثلا على ذلك الكتاب المذكور أخيرا (أسس المنطق الصوري ومشكلاته) والذي وبالرغم من حداثة نشره واسمه فاننا لا نراه يعالج ما هو أبعد من المنطق التقليدي ، ويتجاهل تماما كل ما طرأ على المنطق حديثا من تطورات نوعية .

وعلى الجانب الآخر فاننا نجد بعض هذه الكتب (المنطق الصوري والرياضي لعبد الرحمن بدوي) تنتقل بسرعة فائقة من الاسس الى المنطق الرياضي ، بدون أن تراعي امكانية القارئ لاستيعاب المادة تدريجيا واستفادته منها ، بل قد يستفيد منها من هو أصلا قادر عليها وتمكن منها .

اذن فان العالم العربي عامة وجامعاتنا الفلسطينية خاصة لهن في أمس الحاجة لسلسلة من الكتب التي تتدرج ببطء من البديهي والاولي الى ما هو أعقد منه عبر مجموعة من المفاهيم والامثلة التوضيحية والتمارين التي يمكن من خلالها أن يتفاعل القارئ مع المادة ويتطور في تمكنه منها .

وانني أضع الطبعة الاولى من هذا الكتاب مستهدفا خدمة القارئ والطالب في هذا المجال وآمل أن أجرى التحسينات عليه والاضافات له عبر التجربة والممارسة ، كما وآمل ، بأن أستطيع استكمال مشروعني في وضع كتابين متممين له ، الاول في مسالك المنطق ، والثاني في مشاكله ، بعد أن أكون قد تأكدت من صلاحية هذا الكتاب ، الذي أعتبره الجزء الاول من هذه المجموعة الثلاثية .

ولقد كنت قد أنهيت الجزء الاكبر من كتابة المادة في هذا الكتاب قبل بضعة سنوات ، الا أن مجموعة عوامل موضوعية وذاتية حالت دون نشرى له قبل هذا الوقت لكنني آمل أن أكون قد استطعت خلال هذه الفترة تحسين هذه المادة عبر تدريسي لها في جامعتي بير زيت والنجاح ، كما أنني أتأمل بأن أستطيع متابعة تحسيني لهذه المادة عبر النقد والممارسة .

ولقد توخيت في عرضي لمادة هذا الكتاب أن "أعرب" ما أمكن ، مستنيرا

بمعرفتي في المنطق العربي التقليدي ، باصطلاحاته ورموزه واهتماماته ، ومستفيدا من واقعنا الفلسطيني والعربي للاتيان بالامثلة والتمارين ، آملا بأن تصبح المادة حية من خلالها ، كما وحاولت أيضا أن "أعرب" من الرموز بطريقة لم تستعمل من قبل ، وخاصة للتدليل على علاقة الاستثناء أو الترجيح ، وأيضا على الأحرف التي تستعمل بالانجليزية للإشارة إلى الأوصاف أو المحمولات ، وتسمى "أحرف المحمولات" ، وسوف أبين استعمالاتي وفوائدها في حينه .

أما بالنسبة لخطة عرض هذه المادة ، فاني ابتدأت أولا (الفصل الاول) ببعض الملحوظات والأفكار العامة جدا ، والتي أتوخى من خلال طرحها ومناقشتها مع الطلبة أن أربط ما بين مجموعة المفاهيم السائدة عن المنطق والمنهج العلمي . الخ عند القارئ المعاصر المطلع وبين المنطق كعلم محدد له تاريخه وأطره .

وأبدأ بالتخصيص والتحديد في الفصل الثاني ، محاولا ترجمة الأفكار العامة عن المنطق والملاحظات التي سبق وأن تعرضت لها إلى أسس محددة في علم المنطق أما الفصل الثالث ، فهو يمهّد الطريق لاستعمال المنطق كأداة تقييمية ، فيميز بين العلاقات الاستقرائية والاستنتاجية ، ويعرض الوسائل الرسمية الرمزية وغير الرسمية لتقييم العلاقات الاستنتاجية ، ثم انتقل في الفصل الرابع لتطبيق استعمال المنطق كأداة تقييمية ، فأعرض الوسيلة غير الرسمية لتقييم الحجج ولفرز المغالطات المنطقية .

أما في الفصل الخامس فاني أنتقل لمعالجة المنهج الرسمي لتقييم الحجج ، وأتدرج من معالجة منطق الأقوال الجازمة (أو ما يسميه البعض بحساب القضايا) إلى أن أنتهي بالفصل الأخير من الكتاب لمعالجة منطق الاسوار (أو ما يسميه البعض بحساب المحمولات) .

أخيرا ، فاني أتقدم بخالص شكري للزميلتين سميرة الدجاني وفايزة المالكي في جامعة بير زيت ، اللتان بذلتا جهدا موفورا ومشكورا قبل بضعة أعوام في طباعة النسخة الأولى من مخطوطة هذا الكتاب . كما وأتقدم بالشكر إلى الزميلتين مديحة قواسمي وسهام أبو صوى في جمعية الدراسات العربية لتحملهما مشاق طباعة المسودة الأخيرة من هذا الكتاب .

ولا أنسى كذلك الملاحظات المفيدة التي أبدتها الزميل جورج جقمان
قرأته للمسودة الأولى من الكتاب

والله من وراء القصد

القدس / تشرين أول ١٩٨٤

الفصل الاول

ملاحظات تمهيدية حول
المنهج العقلائي

١ ، ١ الحلقة المفقودة :

ما هو تقييمنا العامي للمنهج المنطقي في التفكير ؟ فأننا كثيرا ما نسمع او نستعمل تعابير مثل " ليس عمله هذا منطقيا " أو " علينا ان نكون منطقيين " . . . الخ وان دل استعمال هذه التعابير على شيء ، فانه يدل على الاقل على رسوخ الاعتقاد عندنا بأن الاعمال والاقوال المنطقية هي أفضل من الاعمال والاقوال غير المنطقية ، الا أن اعتقادنا هذا ليس محصا مدروسا من قبلنا. إذ اننا لا نميز كثيرا باستعمالنا اللغوية هذه مثلا بين كلمتي " منطقي " و " عقلاني " أو " عقلي " ، بل اننا كثيرا ما نستعمل كلمة " عقلاني " كمرادف لكلمة " منطقي " ، حتى تكاد استعمالنا اللغوية هذه تدل على أن القول أو العمل المنطقي هو نفسه القول أو العمل العقلاني . ثم يبدو من استعمالنا أيضا أننا نفضل العقلانية على نقيضها ، ونعتبر القول أو العمل غير العاقل قولا أو عملا عاطفيا ، أو غير موضوعي ، أو غير ناضج ، أو حتى جنونيا . فالقول العاقل ، مثلا ، هو قول يخلو من الشوائب الفكرية كما أنه يكاد يكون خاليا من التأثيرات العاطفية ، وذلك حسب مفاهيمنا واستعمالنا ، ثم نقول عن الانسان العاقل أنه الانسان الذي يقول قولا عاقلا والذي يتصرف بتعقل ، أي أنه الانسان الذي لا يدع أهوائه تسيره حسب مشيئتها ، بل انه يتحكم بعواطفه ويحكم عقله بتصرفاته .

فها نحن اذن نفضل العقل والمنطق على نقائضهما ، وان لم نميز كثيرا بينهما أصلا . الا أنه فضلا عن عدم تمييزنا الواضح ما بين العقلاني والمنطقي ، فأننا كثيرا ما نخطو خطوة أخرى فنستعمل كلمة " موضوعي " بنفس المواضع التي نستعمل بها كلمة " عاقل " أو " عقلاني " ، فنقول عن انسان ما مثلا أنه انسان موضوعي ، أو عن اطروحة ما أنها موضوعية أو عن قول ما أنه موضوعي ، ونعني أهم ما نعنيه في هذه المواضع ان الانسان الموضوعي مثلا هو الذي يحاول ان يعكس الواقع بأمانة في اقواله ، أي أنه الانسان الذي لا يدع آراءه الشخصية ونزعاته الخاصة به أن تؤثر على احكامه ، فالانسان الموضوعي بهذا المعنى هو الانسان الذي يحاول دائما أن يحكم عقله على عاطفته ، والذي يحاول أن يلتزم بالحقائق والوقائـع .

ويبدو أن احترامنا للمنطق وللأسلوب المنطقي يمتد حتى يصبح احتراماً للموضوعية ، ذلك بالرغم من أننا لا نحصّ الفروق ان وحدت ما بين الموضوعي والمنطقي ، أو ما بين الموضوعي والعقلاني . ولو فكرنا قليلاً لوجدنا أن هذا الاحترام الاولي يشمل أيضاً أشياء أخرى ، إذ أننا أيضاً نتكلم عن الاقوال الواقعية على سبيل المثال ، على أنها أقوال موضوعية ، ونتكلم أيضاً عن الأطروحة العلمية ، على أنها أطروحة منطقية وعقلانية وموضوعية وواقعية ، فاننا ننظر للأطروحة العلمية بنفس المنظار الذي ننظر به للانسان العاقل أو للقول المنطقي أو للأطروحة الموضوعية ، فان كنا نفضل الأسلوب المنطقي على الأسلوب غير المنطقي ، فاننا أيضاً نفضل العقلانية على العاطفة ، والأسلوب العلمي على المنهج العشوائي والموضوعية على التفليق أيه كانت أنواعه .

وقد يستدل المرء من كل ما سبق على أنه توجد في مجتمعنا الحالي حلقة معينة من الكلمات المترابطة مع بعضها البعض ترابطاً وثيقاً تدل جميعها على مسالك منهجية نستحسنها ونفضلها على نقائضها ، بل قد يستدل المرء أيضاً على أن هذه الحلقة من الكلمات هي حلقة مفقودة ، أي أن المسالك المنهجية التي تدل عليها هي مسالك مفقودة في مجتمعنا العربي عامة . وليس هذا بغريب ، إذ أن تاريخ أمتنا العربية الحديث لهو حافل بالأمثلة التي تدل على مساوئ وسلبات المسلكية العشوائية الناتجة عن العاطفة ، ونحن حين ننظر الى ما آلت اليه تصرفاتنا ، والى ما آلت اليه حضارتنا ، فلا شك بأن الكثيرين منا يرون في ذلك دليلاً قاطعاً على صحة الاعتقاد بأن طريق الخلاص لامتنا ولشعبنا ليست هي طريق الاحلام والعاطفة والتأمّلات الشاعرية ، بل ليست هي حتى طريق المبادئ الاخلاقية الصحراوية كالعفة أو الشهامة أو الكرامة ، بل هي طريق الكد والعمل الواقعي على أرضية شائكة دامية ، لا مكان فيها لخرق قوانين الجاذبية ولا مجال فيها للانتظار لما قد تسفر عنه الابتهالات والدعوات . ثم ان المرء منا قد يلاحظ أن انجذاب مثقفينا بالمنهجية العلمية والموضوعية والعقلانية ليس مقتصرًا على اليساريين منهم فحسب ، إذ أننا نجد أن امراء البترول ليسوا أقل ابتهاراً بالمنهجية العلمية من قادة الاحزاب الشيوعية ، بل ان الانظمة اليمينية على امتداد العالم العربي تحاول جهدها ان تسخر المنهجية العلمية لمصالحها ومصالح شعوبها كما تحدد هي تلك المصالح . ونسعى جميعاً جاهدين

لتطبيق المنهجية العلمية لانها كما نعتقد مفتاح التقدم والازدهار . فاننا ننظر للدول الغربية والى جيروتها الفني والعسكري ونفسر تخلفنا عنها وعن المركب الحضاري عامة بفقدان عوامل أساسية عندنا ، كالتفكير المنطقي الواضح والتخطيط الواقعي والتصرف الموضوعي .

ولست هنا في مجال دراسة اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية ، بل أنني لا أعرف من الناحية الاحصائية ان كان صحيحاً القول بأن هنالك انجذاباً عند مثقفينا وقادتنا لتلك الحلقة المفقودة ، ولكن على افتراض صحة هذا القول ، فانه من المفيد تمحص تلك العوامل التي تجذبنا وتبهتنا ، بل انه لمن المفيد أن نتمحص التناقض الاساسي بين العقل والعاطفة ، إذ أن العقل يربض على قمة تلك الحلقة المفقودة ، بينما يترأس القلب أو العاطفة تلك العوامل التي هي نقائض المنطقية والعلمية والموضوعية والواقعية ، كما نحسب ذلك . ونحن حين نشعر بانجذاب نحو العقل والعاطفة ، فاننا نشعر وبالوقت ذاته أن ذلك الانجذاب هو بمثابة نفور من القلب والعاطفة ، وقد يكون هذا هو السبب من وراء التشكيك بالمنهج العقلاني وبتقديس العقل من قبل فئات غير قليلة من رجال الدين : فالقلب والعاطفة هما منبع ومرجع الايمان ، إذ أن الايمان هو اذعان العقل لعالم الغيب ، فطوبى للذين يؤمنون وهم لا يرون ، والمسلم أيضاً هو من آمن بالغيب ، ومحك الايمان هو الاذعان لامور لا يفقهها العقل ، كالمعجزات ، بل قد يقال أن ابليس هو أول من رسب في امتحان الايمان ، إذ انه لم يدعن عقله لامر الله ، بل جعل عقله هو الذي يمل عليه تصرفاته ، وليس الاذعان لامور لا يفقهها ، كان يسجد أمام مخلوق هو أدنى منه في مرتبة الوجود .

وكما اختلف ابليس مع بقية الملائكة ، كذلك اختلف رجال الفلسفة مع رجال الدين ، فنرى فلاسفة العصر الاسلامي أمثال الفارابي يثقون بالمنهجية العقلانية أكثر من ثقتهم بالايحاء النبوي ، ولست أبتكر أو اخلق هنا شيئاً جديداً حينما أشير الى وجود ثمة علاقة منهجية بين ابليس والعقلانيين ، فالقارئ مثلاً لكتاب الملل والنحل للشهرستاني يجد أن الكاتب هناك يشير في مستهل كلامه لوجود ثمة علاقة أيضاً بين ابليس والفرق الاسلامية العقلانية "المنشقة" بل أن آراء الغزالي التي وردت في كتابه المنقذ من الضلال لهي أوضح دليل على تناقض المنهجيين ، العقلي أو العلمي من جهة والاسلام أو الاذعان لوجي الله من جهة أخرى .

١ ، ٢ الموضوعية والذاتية :

قد تكون أكثر التمييزات الفلسفية تداولاً على ألسن المثقفين وخاصةً المبتدئين منهم هو التمييز بين الموضوعية والذاتية ، حيث تكون الفلسفات الموضوعية باعتبارهم هي الفلسفات السليمة على أساس ارتباطها بالواقع المادى وتبيينها له على عكس الفلسفات الذاتية التي هي مجموعة أفكار فردية تأملية لا علاقة موضوعية لها بأرضية الواقع .

الآن التمييز بين الموضوعي والذاتي ، كالتمييز بين ما يمليه العقل وما تمليه النزعات العاطفية الفردية ، ليس هو بالواقع تمييزاً واضحاً كل الوضوح ، والفرق ، بالتالي ، بين الوجود الموضوعي والوجود الذاتي ليس هو واضحاً أيضاً . فلنتمحص مثلاً أى منتج فكري كان ولنسأل أنفسنا ، بما يتعلق بهذا المنتج ، ان كان هذا المنتج عقلياً أو عاطفياً . ولقد يتبادر للذهن ها هنا أننا لا نستطيع البت في هذا السؤال طالما أننا لم نكن نفكر بمنتج معين أمامنا حتى نستطيع تقييمه . أو قد يتبادر للذهن أيضاً أننا بحاجة أولاً لان نعرف ما نعنيه بالمنتج العقلاني أو المنتج العاطفي .

وكمدخل ممكن لتفحص هذا الامر ، فانه يمكننا التكلم عن العامل أو الحافز أو المنبع الذي ينتج هذا المنتج عنه ، والبحث فيما اذا كان هذا العامل هو العقل أو العاطفة .

الا أننا ما نلبث أن نفعل ذلك حتى نبدأ أن نرى بأنه ان اعتبرنا ذلك العامل أو الحافز كالمراجع للتمييز بين المنتج الفكري العقلاني والعاطفي فاننا لن نجد تمييزاً بتاتا بينهما ، اذ أن المرجع النهائي في الحالتين هو نزعة شوقية أى عاطفية ذاتية وليس العقل بحد ذاته .

وبمعنى آخر ، فان العقل لا يبحث الانسان على القيام بعمل ما ولا حتى على التفكير بشيء ما ، بل ان النزعة الشوقية هي التي تحث الانسان منا على التفكير بعقله أو على التفكير أو التصرف العاطفي .

فعالم الرياضيات مثلاً الذي يبتدع أو يكتشف نظرية ما هو انسان تحته نزعاته الشوقية للرياضيات على التفكير فيكون منتوجه الفكري اذن هو منتج تابع عن منبع أو أصل عاطفي . وكذلك فان المرء منا لا يقوم بعمل اختياري ما الا وان حثته على ذلك

لكن عدم الوضوح الذي كان موجوداً بشأن العلاقات بين المنطقي والعقلاني والموضوعي والعلمي هو موجود أيضاً بشأن التناقض المزعوم بين العقل والايمان ، أو بين العقل والعاطفة ، ولا بد للمرء منا أن يوضح لنفسه هذه الامور لكي يستطيع تقييم المنطق والمنهج المنطقي . بل لا بد للمرء منا أن يوضح هذه الامور لنفسه كي لا يجد نفسه متعصباً لهذا الرأي أو المنهج أو ذاك ، ولكي لا يجد نفسه معلقاً في الهواء ، تجذبه تيارات العقلانية تارة ، وتارة تيارات الادعان للمبهم .

